مكة
بلد الله الحرام

إعداد

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الـــــــــذي أنعم علينا بنعمة الإســلام، وأكرمنا ببعثة ســيد الأنــام، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اختص الله عز وجل مكة من بين سـائر أصـقاع الأرض، وشـرفها بإقامة بيته العـــتيق، وجعل الحج إلى الـــبيت الـــركنَ الخامس من أركان الإسلام.

ورغبة في تعريف المســلمين بحق هــذا الحرم المبارك جمعت هـذه الأوراق، سـائلاً الله عز وجل التوفيق والسداد.

* مكة بلد أحبها الله عز وجل فجعلها حرمًا آمنًا: عن عبد الله بن مسعود قـال: قـــــال رســــــول الله وهو على ناقته المخضـرمة بعرفـات: «**أتدرون أي يـوم هذا، وأي شـهر هـذا، وأي بلد هـذا؟**» قالوا: هـذا بلد حـرام، وشـهر حـرام، ويـوم حرام، قال: «**ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حــرام، كحرمة شــهركم هــذا، في بلدكم هذا، في يـومكم هـذا... »**

[رواه ابن ماجه].

* مكة خـير البلاد وأحبها إلى رسـول الله ﷺ: عن عبد الله بن عـــــدي بن الحمــــــراء الزهـري ﷺ قـال: رأيت رسـول الله ﷺ واقفًا على الحـــزورة **[الأرض المرتفعـــة]** فقـــال: **«والله إنك لخـــير أرض اللـــه، وأحب أرض الله إلى اللـــــه، ولـــــولا أني أخـــــــرجت منك ما خـــــرجت» [رواه الترمذي].**

وعن ابن عبــاس رضي الله عنهما قــال: قال رسـول الله ﷺ لمكـة: **«ما أطيبك من بلـــد، وما أحبك من بلـــد، وما أحبك إلي، ولـــولا أن قومك أخرجـــوني ما سكنت غيرك» [رواه الترمذي].**

* مكة بلد الأمن: قــــال تعـــالى: **﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْـــــــهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَـيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَـدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [القصـص: 57]**، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النــبي ﷺ قـال: **«أبغض النــاس إلى الله ثلاثـــة: ملحد في الحـــرم، ومبتغ في الإسـلام سـنة الجاهليـة، ومطَّلب دم**

امــــرئ بغـــير حق ليهريق دمه» [رواه البخاري].

* مكة مـأرز الإيمـان: عن سـعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسـول الله يقـول: **«إن الإيمان بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بــدأ، فطـوبى يومئذ للغربــاء إذا فسد النـــــاس، والــــذي نفس أبي القاسم بيــده ليــأرزن الإيمــان بين هذين المسجدين كما تـأرز الحية في حجرها» [رواه أحمد].**

* مكة بلد التوحيـــد: بلد أقـــام الله عز وجل فيها صـــــــروح التوحيد وأزهق فيها الشـرك، وفي تطهـير إبـراهيم لـبيت الله وأذانه للنــاس بــالحج أعظم دلالــة، قــال تعـالى: **﴿إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْـرَاهِيمَ مَكَـانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْــرِكْ بِي شَــيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّـجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَـالاً وَعَلَى كُـلِّ ضَـامِرٍ يَـأْتِينَ مِنْ كُـلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 26، 27].**

* مكة قبلة الـدنيا: يتوجه إليها المصـلون في الصـلوات المفروضة خمس مـرات في

اليوم والليلة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَـرَى تَقَلُّبَ وَجْهِـكَ فِي السَّـــمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَــةً تَرْضَاهَا فَـوَلِّ وَجْهَـكَ شَـطْرَ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُـوهَكُمْ شَـــطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُـــوا الْكِتَـــابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 144].

* مكة بلد فيها معـــــــالم الإخلاص: إنها معالم واضحة جليَّةٌ بدأها إبــراهيم حين بنـاء الكعبة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْـــمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

* مكة بلد التوكـل: بـدأ فيها التوكل على الله من أول وهلة؛ لما وضع إبراهيم ﷺ هاجر وابنها في أرض جرداء لا أنيس ولا صــاحب، وضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبـــــراهيم منطلقًـــــــا، فتبعته أم إسـماعيل، فقـالت: يا إبـراهيم أين تـذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شـــيء؟ فقـــالت له ذلك مـــرارًا، وجعل لا يلتفت إليها.

فقالت: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا.

* مكة بلد تعــددت أســماؤه تشــريفًا له وتعظيمًــا: بلد الله الحـــرام، الــذي حرمه وشـرفه وقدسـه، تعـددت أسـماؤه تشـريفًا للمســمى، ومن أســمائه الــتي وردت في القرآن الكريم:

-مكـة: وهو أشـهر أسـمائه، قـال تعـالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ **[الفتح: 24].**

-بكــة: من أســمائه الــتي وردت في القرآن، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ **[آل عمران: 96].**

أم القــرى: وقد ورد هــذا الاسم في القــرآن الكــريم، قــال تعــالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ **[الشورى: 7].**

-البلـد الأمين: بلـد اسـم ومسـمى، قـال تعـالى: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ**﴾ **[التين: 1-3].**

وما كثرة الأسماء إلا لفضلها
حباها بها الرحمن من أجل

* مكة بلد البر بالوالدين؛ حيث ساعد فيها الابن أباه، إنها طاعة ورضا وتسليم وفرح حين يعين الابن أباه في إقامة أعظم بيت من بيوت الله ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ **[البقرة: 127].**

* مكة بلد حسن الرجاء والظن بالله عز وجل: لما ترك إبراهيم زوجه هاجر وابنه إسماعيل بهذا الوادي المقفر انطلق حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَهُمْ**

يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 33].

فاســتجاب الله دعوتــه، فكــان هــذا البلد العظيم.

* مكة بلد بــذل الأســباب: في هــذا البلد بذلت هاجر الأسباب ولم تقعد تنوح وتبكي، لما نفذ ما في الســقاء من المــاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلـــــوى، فـــانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجـــدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقــامت عليه ثم اســتقبلت الــوادي تنظر هل تــرى أحـدًا فلم تر أحـدًا، فهبت من الصـفا، حـتى إذا بلغت الــوادي رفعت طـرف درعهــا، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جـاوزت الــوادي، ثم أتت المــروة فقــامت عليهــا؛ فنظرت هل ترى أحدًا قلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

* مكة لا يدخلها الــدجال: عن أنس عن النــبي قــال: «**ليس بلد إلا ســيطؤه الــدجال إلا مكة والمدينــة، ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صـافين يحرســونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفـات فيخـرج الله كل كـافر**

ومنافق» **[رواه البخاري].**

* مكة مــأرز الإيمــان: روى مســلم في صــحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النــبي قــال: «**إن الإســلام بــدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المســـــجدين كما تــــأرز الحية في حجرها**».

قـــال النـــووي: «أي: مســـجدي مكة والمدينة».

* مكة بلد يحــرم فيها الإلحــاد: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** **[الحج: 25].**

وعن ابن عبــاس رضي الله عنهما قــال: قــال النــبي : «**أبغض النــاس إلى الله ثلاثــة؛ ملحد في الحــرم، ومبتغ في الإســلام سـنة الجاهليـة، ومطَّلب دم امــرئ بغــير حق ليهريق دمه**» **[رواه البخاري].**

وعن ابن مســعود مرفوعًــا: «**لو أن**

رجلاً هَمَّ فيه بإلحـــــاد وهو بعد أبين، لأذاقه الله عذابًا أليمًا» [رواه أحمد].

قــال شــيخ الإســلام: «إن المعاصي في الأيـام المفضـلة والأمـاكن المفضـلة تغلـظ، وعقابها بقــدر فضــيلة الزمــان والمكــان» **[مجموع الفتاوى 34/ 180].**

* مكة بلد النصــيحة: في مكة النصــيحة للابن وتفقد أحواله في أبهى صورها وأجمل عباراتهـــا؛ فـــإن هـــاجر لما بقيت في مكة وشب إســـماعيل عن الطـــوق تـــزوج من جرهم وماتت أم إسماعيل.

فجــاء إبــراهيم بعــدما تــزوج إســماعيل يطــالع تركتــه، فلم يجد إســماعيل، فســأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغى لنا. ثم سأل عن عيشـهم وهـيئتهم، فقـالت: نحن بشـرّ، نحن في ضيق وشـدة، فشـكت إليـه. قـال: فإذا جاء زوجك فاقرئي وقـولي لـه: يغـير عتبة بابــه، فلما جــاء إســماعيل كأنه آنس شـيئًا، فقـال: هل جـاءكم من أحـد؟ قـالت: نعم، جاءنا شــيخ كــذا وكــذا، فســألنا عنك فأخبرته، وســألني كيف عيشــنا، فأخبرته أنَّا في جهد وشدة.

قـال: فهل أوصـاك بشـيء؟ قـالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السـلام، ويقـول: غـير عتبة بابك.

قـال: ذاك أبي، وقد أمـرني أن أفارقـك، إلحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخـرى، فلبث عندهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجـده، فـدخل على امرأته فسـألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا.

قــال: كيف أنتم؟ وســألها عن عيشــهم وهيئتهم.

فقــالت: نحن بخــير وســعة. وأثنت على الله.

فقال: ما طعامكم؟

قالت: اللحم.

قال: فما شرابكم؟.

قالت: الماء.

قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قــال النــبي ﷺ: «**ولم يكن لهم يومئذ حبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه**».

قــال: فــإذا جــاء زوجك فــاقرئي عليه

السلام، ومريه يثبِّت عتبة بابه.

فلما جاء إسـماعيل قـال: هل أتـاكم من أحد.

قـــالت: نعم، أتانا شـــيخ حسن الهيئـــة. وأثنت عليـــــه، فســـــألني عنك فأخبرتـــــه، فسألني كيف عيشنا، فأخبرته: أنا بخير.

قال: فأوصاك بشيء؟

قـــالت: نعم، هو يقـــرأ عليك الســـلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك.

قـال: ذاك أبي، وأنت العتبـة، أمـرني أن أمسكك.

* مكة مـــوطن طاعة الابن لأبيـــه: نعم تتجلى في أوضح وأجلى حال، تتم الموافقة بلا تردد ولا مساءلة!

جاء إبراهيم وابنه إسماعيل يـبري نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمــزم، فلما رآه قــام إليـه، فصـنعا كما يصـنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمـرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك.

قال: وتعينني؟

قال: أعينك؟

قال: إن الله أمرني أن أبني بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ **[البقرة: 127]**، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

* مكة فيها أول بيت بني في الأرض للعبادة: ولا يزال هذا البيت تتجه نحوه قلوب المصلين كل صلاة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ **[آل عمران: 96]**.

* مكة بلد حرام: اصطفى الله عز وجل هذه البقعة وحرمها منذ خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ

رَبَّ هَذِهِ الْبَلْـدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَـهُ كُـلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ **[النمــل: 91]**. ودل على ذلك أيضًــا حــديث رســول الله ﷺ؛ فعن ابن عبــاس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يــوم فتح مكــة: **«إن هــذا البلد حرمه الله يــوم خلق الســـــماوات والأرض؛ فهو حــــــرام بحرمة الله إلى يــــوم القيامة»** **[رواه مسلم]**.

وقد أحلها الله عز وجل لنبينا ﷺ ســـــاعة من نهــار لتطهيرها من الأوثــان والأصــنام والشرك وأعمال الجاهلية.

وقد أعلن خليل الله إبـــــــراهيم ﷺ حرمة مكــة، وبــنى وطهر بيت الله الكعبــة، وأذن في النــاس بــالحج؛ فقد روى البخــاري عن عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ عن النـــــبي ﷺ: **«إن إبــراهيم حـــرم مكة ودعا لهــا، وحــرمت المدينة كما حــرم إبــراهيم مكة، ودعوت لها في مــدها وصــاعها مثل ما دعا إبـــــــراهيم ﷺ لمكة»** **[رواه البخاري]**.

* مكة بلد حبس الله عنها الأعــــداء: في

الحـديث عن أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: «**إن الله حبس عن مكة الفيــل، وســلط عليها رســوله والمؤمــنين، وإنها لن تحل لأحد كــان قبلي، وإنها أحلت لي ســاعة من نهــار، وإنها لن تحل لأحد بعدي...**» **[رواه البخاري]**.

* مكة بلد أقسم الله تعـــــــالى بها في كتابه: أقسم الله سبحانه وتعــالى بمكة في آيــات عديــدة من كتابه الكــريم، دلالة على عظمة المقسم بـــــــه، وتنبيهًا إلى مكانته ورفعة منزلته عند الله سبحانه، قال تعالى: **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُـونِ * وَطُـورِ سِــينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ** **[التين]**، والتعبير بهـذه الصــيغة يــدل على عظيم شــأن هــذا البلد الحــــرام؛ فقد عظمه الله حين أقسم بـــه، وفي ضمن القسم أشار إليه باسم الإشــارة (هذا) الذي يدل على قــرب مكانته عند الله عز وجل، ثم وصــفه بــ [الأمين]، وهو فعيل بمعنى فاعل؛ أي آمن.

وقال تعـالى: **لا أُقْسِـمُ بِهَـذَا الْبَلَـدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ** **[البلد: 1، 2]**، وهذا قسم آخر استخدم فيه أســلوبا آخر بالقسم

المؤكـد، مع اسـتخدام اسم الإشـارة أيضًـا (بهذا).

* مكة بلد دعا لها ولأهلها إبــراهيم الخليل : لقد ذكر لنا عز وجل في كتابه الكــريم أن إبراهيم خليل الرحمن ، بعد أن أسكن ولده إسـماعيل وزوجه هـاجر عليهما السـلام دعا لأهل هذا البلد وساكنيه، فدعا أن يجعله بلـدًا آمنًا، وأن يجنب أهله عبادة الأصنام، ودعا أن يجعل قلــوب المســلمين تميل وتهفو إليهم وإلى بلدهم.

* ودعا أن يرزقهم من الثمرات...

* ودعا أن يبعث فيهم نبيًا منهم...

فهذه دعوات مباركات من خليل الرحمن أبي الأنبيـاء عليه الصـلاة والسـلام، وذكرها الله عز وجل في كتابه الكـــريم، فقـــال تعالى: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَــدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُــدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**

عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 35-37].

وقــال عز وجــل: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].**

واســتجاب الله ســبحانه هــذا الــدعاء المبــارك فــرزق أهل هــذا الــوادي غــير ذي الــزرع من الثمــرات، تجــبى إليه من كل حدب وصــوب، حــتى تجد فيه فاكهة الشــتاء في الصــيف، وفاكهة الصــيف في الشــتاء، فسبحان الله المجيب، والحمد لله الوهاب.

* مكة بلد تعظم الصــلاة فيهــا: عن أبي هريــرة أن النــبي قــال: «**صــلاة في مســجدي خــير من ألف صــلاة فيما ســواه إلا المســجد الحــرام» [رواه البخاري].**

وعن جــابر أن رســول الله قــال: «**صــلاة في مسـجدي أفضل من ألف**

صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصــلاة في المســجد الحــرام أفضل من مائة الف صلاة فيما سواه» [رواه أحمد].

* مكة بلد يحرم القتال وسفك الدماء بها وإيذاء قاطنيها: فهـذا البلد بلد آمن مطمئن؛ ليس فيها نزغـات للشـيطان ولا آفـات بـني البشر تعديا واستكبارًا.

فبعد أن بنى إبراهيم البيت الحـرام دعا ربه بدعوات مباركات لهذا البلد وأهله، وكم هي الآيــات الــواردة في حــرم الله الــتي تذكرنا بـإبراهيم الخليل أبي الأنبيـاء ، قـال تعـالى: ﴿وَقَـالُوا إِنْ نَتَّبِـعِ الْهُـدَى مَعَـكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِـــنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ **[القصص: 57]**. وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَــةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ **[البقـــرة: 125]**، وقال سبحانه: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُـورِ سِـينِينَ * وَهَـذَا الْبَلَـدِ الأَمِينِ﴾ **[الـــتين: 1-3]**. وقـــال ســـبحانه في ســـياق الامتنـــان على النـــاس: ﴿أَوَلَمْ يَـــرَوْا أَنَّا

جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ [العنكبوت: 67].

قال القرطـبي في معـرض الحـديث عن مكــة: «إنها لم تــزل حرمًا من الجبــابرة المسلطين، ومن الخسوف والزلازل وسائر المثلات الــــتي تحل بـــــالبلاد، وجعل في النفـوس المتمـردة من تعظيمها والهيبة لها ما صار به أهلها متميزين بالأمن من غيرهم من أهل القرى».

ولذلك نهى عن حمل السـلاح بمكة لغـير ضرورة ولا حاجة، فروى مسلم عن جــابر قال: سمعت رسول الله يقول: **«لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح»** [رواه مسلم].

وأما القتـال في الحـرم فقد عظَّم النـبي أمره، وأكد على تحريمه.

قال الإمام البخـاري رحمه اللـه: بـاب: لا يحل القتال بمكة.

وقـــال أبو شـــريح عن النـــبي : **«لا يسفك بها دمًا»**.

ثم روى حـديث ابن عبـاس، وفيه قوله :

«فـإن هـذا بلد حرمـه الله يـوم خلق السماوات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة».

ولم يـأذن الله تعـالى لرسـوله ﷺ والمؤمـنين بقتـال وقتل الكـافرين بمكة إلا إذا ابتدرهم الكافرون بالقتال؛ فقال تعـالى: ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ **[البقرة: 191]**.

وهكذا فعل رسول الله ﷺ؛ فإنه ﷺ أمن كل من ألقى سـلاحه ولم يقاتل من المشـركين يـوم الفتح، وبعث مناديًا ينـادي: «من دخل المسـجد الحـرام فهو آمن» ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سـفيان فهو آمن، ولم يأذن لأصحابه إلا بقتال من قاتلهم وبرز بسلاحه لهم.

* مكة بلد لا يدخلها الكفار والمشـركون: مكة بلد طـاهر مطهر من رب العـالمين، وهذه خصيصة من خصائص الحرم، بلد الله الآمن؛ فلا يجـوز مطلقًا أن يمكن كـافر أو مشـرك من اليهـود والنصـارى وغـيرهم من

دخـــول بلد الله الحـــرام؛ لأن المشـــركين نجس، وبلد الله مطهر مقـدس؛ فنجاسـتهم وكفـــرهم تمنعـــانهم من دخـــول المســـجد الحرام.

قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْـجِدَ الْحَـرَامَ بَعْـدَ عَـامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَـةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللـهُ مِنْ فَضْـلِهِ إِنْ شَـاءَ إِنَّ اللـهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ **[التوبـة: 28]**، وتنفيذًا لهذا الأمر الإلهي بعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق في العام التاسع ليؤذن في النـاس: «أن لا يحج بعد العـام مشـرك، ولا يطوف بالبيت عريان» **[رواه البخاري]**.

قال القرطـبي: «يحـرم تمكين المشـرك من دخول الحرم أجمـع، فـإذا جاءنا رسـول منهم خـــرج الإمـــام إلى الحِـــلِّ ليســـمع ما يقـــول، ولو دخل مشـــرك الحـــرم مســـتورًا ومات، نُبِشَ قبره وأخرجت عظامه».

* مكة بلدة الأخوة الإسـلامية: على أرض مكة وثراها كـانت العلاقة الأخوية بين نـــبي

هذه الأمة وصاحبه ورفيق دربه أبي بكر ؛ فقد أعــان رســول الله وواســاه وأنفق ماله، وصحبه في الهجرة، وكان ثاني اثــنين إذ هما في الغار!

* مكة بلد الأســرة الصــالحة: في هــذه البطـــاح عـــاش رســـول الله فجر حياته الزوجية فيها مع أم المؤمـــنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنهـــا، واســـته ووقفت بجواره، لم تكـدر خـاطره، ولم يسـمع منها ما يحزنه أو يســوؤه، ولهــذا نــزل جبريل إلى النبي بقــول: «بشر خديجة بــبيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب».

* مكة بلد العفو والصـــــــفح: وقعت فيها أحداث عظام ومواقف جسام!

خــرج منها رســول الله مهــاجرًا فــارًا بدينه بعد أن أوذي وقيل لـــــه: ســـــاحر ومجنون. ووضع على ظهره الشريف سـلى الجزور! وفي النهاية قرروا قتله!

ولما عـــاد إلى مكة منتصـــرًا فاتحًا في جيش عرمــرم، دخل مطأطأ الــرأس يبكي في ذله وخضوع لربه عز وجل.

لما دخل مكة عام الفتح تلا قولـه: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـاكُمْ مِنْ ذَكَـرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ثم قال: «**يا معشر قريش، ما تظنـون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خـيرًا، أخ كـريم وابن أخ كـريم، قـال: «**فإني أقـول لكم كما قــال يوسف لإخواتــه: ﴿قَـالَ لا تَثْـرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَـوْمَ يَغْفِـرُ اللـهُ لَكُمْ وَهُـوَ أَرْحَمُ الـرَّاحِمِينَ﴾ اذهبـوا فـأنتم الطلقاء**».

* مكة بلد الــدعوة والرســالة: انطلقت منها دعـــــوة الحق جل وعلا مجلجلة في أركان الدنيا! نزل فيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ **[المدثر: 1، 2]**، فقام رســـــول الله وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهــاده، ومنها انطلقت وجـوه الصـحابة إلى المدينة ثم إلى أصـقاع المعمورة نشرًا لهذا الدين ودعوة الله!

* مكة بلد الصــبر: إنها أنصع الصــور في الصبر على الطاعة عن المعصية، أو الصــبر على أقـــــــدار الله من الأذى والتنكيل

والاســتهزاء حين نشر الــدعوة إلى اللــه، وكتب السير تحكي واقعًا ملموسًا لذلك في حياة النبي ﷺ وصحابته الكرام.

فقد أوذي فيها نبينا محمد ﷺ، ومن صــور صبره عليه الصلاة والســلام ما رواه أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحــد، وأُخفت في الله وما يخاف أحد...**» **[رواه أحمد والترمذي]**.

* مكة بلد الــوحي: لما بلغ رسـول الله ﷺ الأربعين من عمره المبارك نبأه الله وأوحى إليه، وأول ما نزل عليه الوحي في مكة في غار حراء: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ **[العلــق: 1-5]**، ثم توالى نزول القــرآن في مكة والمدينة على وجه الخصوص.

* مكة بلد تهفو إليها القلوب: فهي دعوة إبراهيم ﷺ: ﴿... **فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**...﴾ **[إبراهيم: 37]**.

يأتيها الأبيض والأسود والعربي والعجمي، من أقصى الأرض شرقًا إلى أطرافها غربًـا، ويــأتي إليها من شــمال الأرض ومن جنوبها رجال ونساء وشـيب وشـباب.. فهي مهـوى الأفئدة، وإليها تشد المطايا.

أكـرم بمكـة من بلـد وأعظم بهـا من بقعة مباركة.

لا يرجع الطرف عنها حين
حتى يعود إليها الطرف

* * * *